بعد عامٍ على رحيله:

هل تلتفتُ الثّقافة العربيّة اليوم إلى إرْث جمال الدّين بن الشيخ؟

عبد اللّطيف الوراري*

أ.

■ يعْبر بنا،في تاريخ ثقافتنا الحديثة،عددٌ من الكُتّاب والمُثقّفين أسْهم،إلى جانب عمله الأكاديمي وما تفرض عليه شروط الفكر والثّقافة من النّهوض بمشروع التّنوير في مجْتمعاتهم،في وصْل العلاقات المثْلومة والمتوتّرة،جيوسياسياً وثقافياً،بيْن الشّرق والغرب،الشّمال والجنُوب،أوْ،بتحديد أدقّ،بيْن العرب والمسْلمين ومنْ يتّمماسّ معهُمْ،تاريخياً،في مُفْترق طرق التّجاذُب الإيديولوجي والفكْري والحضاري العامّ.

وإذا كان المستشرقون ،منذ بدايات القرْن التّاسع عشر،قدْ بادروا ـ بدوافع مختلفة ـ إلى الإتّصال بالثّقافة العربيّة، والتّعرّف على مكوّناتها الدّينية والإثْنيّة والإجْتماعيّة والجماليّة من أضابيرها ومظانّها وتنظّراتها في الواقع ،إلاّ أنّنا نشْكو اليوْم، مثْل نبهْنا إلى ذلك عمل إدوارد سعيد ومحاذيره،حجْم الأخْطاء والمزالق المعْرفيّة والمنْهجيّة الّتي وقع فيها عددٌ غيْر يسير منْهم منْ منْطلق الخلْفيّات والأطُر المُوجّهة لعملهم،وبدل أنْ يكون مسْعاهمْ تغْطية للْواقع وممْكناته كان تغْطية عليْه ،طالما كان خطابهم الأنثروبولوجي يسْتهْوي فيهم البحْث عن العجيب والغرائبي في صورة الآخر/المُتأخّر.ولوْلا عملُ مثقّفينا ،والجهد الّذي بذلوه في النّهوض بثقافتنا ،وإطْلاع الغيْر على مناح مُهمّة منْها بلُغة الدّول المُضيفة لهُمْ في أوربا وأمريكا،لاسْتمرّ مجاز الصّورة وتوريتها على ما خُطّ له،وإنْ كانتْ تتذبذب حسب مراحل اشتداد التّجاذب وسوء الفهم الجارية حتّى السّاعة.

ب.

ضمْن آخرين،وفي مجالات وحقول معْرفيّة أخْرى،أمثال إدوار سعيد، حليم بركات،محمدّ أركون،عبدالكبير الخطيبي،أدونيس،سلْمى الجيوسي،عبْدالله العرْوي،كمال أبو ديب،فاطمة المرْنيسي،عبد الفتّاح كليطو،عبْدالله حمّودي،عبد الوهاب المؤدّب،عبْدالباري عطوان،نصير شمّه،ضياء العزاوي،صلاح ستيتيه وغيْرهُمْ،يدْخل عمل جمال الدّين بن الشّيخ1930}ـ2005{في هذا المشْروع التّنْويري والحواري،منذ مايقْرُب منْ أرْبعة عقُود،يسْكنه نُكران ذات المُحبّ،وصفاء أرومة الباحث في الوصْل مابيْن القادم منْها وإليْها،ممّا يفْرضه ذلك منْ معْرفة بآداب الضيافو وحُسْن الجوار،بعيداً عن الإنْغلاق على الهويّة أو الإحْساس بالدّونيّة أو التّنصّل منْ مسؤوليته كمُثقّف تشغله قضايا إبستيمولوجية تخُصّ نوْعيّة عمله حتّى صار وجْهاً بازغاً للْعلم بفرنْسا الّي نزل بها مُهاجراً في بحْر الستّينيّات من القرن العشْرين،ومرْجعاً موْثوقاً به يعود إليه ممّن يبْحثوْن في قضايا الثّقافة العربيّة أمثال رولان بارث وهنْري ميشونيك وغيْرهما.

جمال الدين بن الشّيْخ

في فرنْسا ،أوْجد جمال الدّين بن الشيخ لنفْسه موطئ قدم في الوسط الثّقافي ،وعلى أرْض ما تفتأ تهْتزّ تحْت الزّلازل والرّجّات الفكْرية والجماليّة منذ أواخر الستينيات؛وقد مثّل،بحقّ، ثقافة كانت مهجورة أوْمنْظوراً إليْها منْ خلال الكليشيهات التي كان يُشيعها خطابٌ كولونيالي متعسّف،واسْتشْراقي مُغْرق في مركزيّته و مُغْرض في رؤيته؛ولعلّ أهمّ هذه الكليشيهات كانت تقْدم من نصوص الشعر القديم، والسّرد العجائبيّ، والتّأويل الإسْلامي لموْضوعات مخْصوصة كالجسْد والعشْق والرّؤيا وغيْرها.

منْ فتْنة الشّعر العربي القديم إلى القول الآسر في ألف ليلة وليْلة،مرْوراً بالضّفاف الخصيبة الّتي تسْكنُها الشّعْرية العربيّة وروحانيّة الإسلام،قدّم جمال الدّين بن الشيخ عملاً مميّزاً ولافتاً فتح فيه تراث العرب الأدبي والثّقافي على أسْئلة المنْهج الحديث ،وواجب المعْرفة ومواردها،بغاية تهويته وإدْماجه في سيرورة التّأويل الّتي تُخْرجه منْ شرْنقة المنْع والتّقْديس،وتُحرّره من الرّؤْية الإسْتشراقية المُغْرضة.

هكذا،سوْف ينْكبّ جمال الدّين بن الشّيخ ،الجزائري المولود بمرس السلطان أحد أشْهر أحْياء الدّارالبيْضاء المغْربية،على الإخْلاص لدرْس لنْ يتوانى في العمل على قضايا مركّبة ونُصوص إشْكاليّة ،وتفْكيكها بعْد إعادتها إلى ضوْء المعْرفة ،وتخْليصها من "اسْتراتيجيةالهيْمنة" في سياق العلاقة المُخْتلّة بين الذّات الغرْبية وموضوعاتها الوافدة من الشّرْق أساساً،بما فيه موْضوع الأدب الّذي تخصّص فيه ابْن الشّيخ ،الّذي لمْ تنْفصل قراءته له عن انْشغاله بأسْئلة التّحْديث في الفكر والتّاريخ والمُجتمع منْ خلال مواقف ومبادئ لمْ تتزحْزح ،قيد أنْملة،عن الحقّ في الإخْتلاف الجماليّ والسوسيوثقافيّ ،وهوالّذي صرّح بملء فيه :"أنا،المُهاجر المغاربيّ العاشق لفرنْسا"،في وقْت كانتْ موْجة العُنْصرية ومعاداة الأصُول المغاربيّة للمُهاجرين خاصّة والإسْلام عامّة تطفو على سطْح ثقافة تشبّع منْها بقيم الحُرّيّة والمُساواة والأخُوّة،وأتاح له فُضاؤها السّفر،بحُرّيّة،في اخْتياراته ورهاناته.وقد سُئل جمال الدّين بن الشّيخ :لماذا لا يعود إلى بلده الجزائر؟،أجاب بأنّه لا يمْكنه ذلك لأنّ في الجزائر ليْس بمقْدوره أنْ يُنْتج مثْلما الحالُ في فرنْسا.الإغْتراب،لكن الحُرّيّة.

ج.

شكّل الشّعْر العربيّ ،بالنّسبة إلى جمال الدّين بن الشّيخ،صلة الوصْل الأولى لخوْض البحْث في الثّقافة العربيّة،ومرجع ذلك إلى عدّة أسْباب منْها أنّ خطاب الشّعْر كانت له أسْبقيّة داخلها لاعْتبارات فكْريّة ،لغويّة وجماليّة.توجّه، في بداية عمله النّقْديّ،إلى الإهْتمام بخمْريّات أبي نواس وأشْعار المتنبّي بحْثاً وترْجمة،مثْلما خصّ الأنسكلوبيديا العالميّة بدراسة لمّاحة حول الغنائيّة في الشّعْر العربيّ1 تكشف فجاجة التّصوّر الذي يخْتزل تاريخ هذا الشّعْر في أنّه "شعْرٌ غنائيٌّ" كما كرّست ذلك الدّراسات الإسْتشْراقيّة ،رافضاً أنْ يخْضعه للتّمرْكُز حول الذّات الغرْبيّة ،ولسلْطة التّسْميّة فيها،ضمْن الإهتمام الأوربّي بالتّعرّف على آخرهم "الشّعْري" في الثّقافات الوافدة عليْه من الشّرق]العربيّة،الفارسيّة،الصينيّة واليابانيّة تحْديداً.[كان العُبور إلى البناء النصّي في تأمّل الغنائيّة العربيّة حاسماً في تحْليل ابْن الشّيْخ ،حيْث يتعاضدُ البحْثُ في شكْل القصيدة وتركيبها الأغْراضي مع البحْثفي لُغتها ومراجعها بين الواقع والْكتابة،اللّسان والفرْد،وما يترتّب على ذلك منْ إنْشاء الرّؤْية الغنائيّة في العالم بحسْب الذّوات الشّاعرة ،في غيْر عصْر مُعْطى.

لكنّ العملَ الّذي يُقدّم درْس جكال الدّين بن الشّيخ في الحرْص على تقصّي المنْهج والمعْرفة،وعدم المهادنة مع اسْترْسال الجهْل والحجْب والنّسْيان في موْضوع الشّعْر العربيّ ومُهيْمناته النصّيّة والجماليّة كان ،بلا شكّ، كتابه ذائع الصّيت "الشّعْريّة العربيّة"2 ،الّذي عمل ،بوصْفه مشْروع قراءة نقْديّة على تفْكيك مقولات الإسْتشْراق الغرْبيّ عامّة،والفرنْسيّ تحْديداً ،حيْث ينْتهج فيه قطيعةً مع التّصوّرات والأدوات الكلاسيكيّة في مُقاربة الموْروث الشّعْري العربيّ إبّان العصْر الوسيط،وذلك بهدف الوقوف على ما يؤسّسُ خاصّيّة هذا الشّعْر ونظامه عبْر رؤْية منْهجيّة نافذة لا تُهادن،في جهازها المفاهيمي ولغتها الواصفة، سلْطة الحجْاب الّتي تغذّتْ على بعْض النّزعات المُعْتبرة علماً.

في مقدّمة الكتاب يُذكّرُنا "بأنّ وضع الشّعْر قدْ تحدّد في قلْب تفْكير منْ طبيعة إبستيمولوجي"،وهو ما جعل منْه لحظات قويّة يستقصي فيها بقدْرما يسْتكشفُ المتخيّل الرّفيع والتّقْنيّة المستندة إلى عمل المعْرفة وواجبها الّذي يسْتدْعي مقوّمات العصْر الثّقافيّة برُمّتها.

ومن المؤْسف،حقّاً، أنْ تظلّ هذه القراءة المشْروع مهْجورة في تاريخ ثقافتنا الشّعْريّة الحديثة منذ أنْ صدرت لأوّل مرّة عنْ منْشورات الأنثروبوس الفرنسيّة عام 1975،في وقْت كانتْ الدّراسات الأدبيّة،المُجتمعيّة بالإيدْيولوجيا ونظريّات الظّرُوف الخارجيّة المُسْترْسلة في عمى السّائد النّقْديّ،السّلْطان الأقْوى على خطاب الشّعْر ونقْده وتداوله،والّتي لمْ يكُنْ لكثير منْها وأجبُ المعْرفة واسْتقصاء المنْهج الحديث؛ ولوْلا الترْجمة، الجيّدة في بابها،الّتي رعتْها دار توبقال المغْربيّة بإيعاز منْ الشّاعر محمّد بنّيس لاسْتمرّ منْفى ابن الشيخ عن اللّغة العربيّة الّتي أحبّها ،وأحبّ فكْرها وآدابها،ونسْيانُه بيْن أدبائها ردْحاً من الدّهْر.

د.

إلى ذلك، استحقّ مشروعُ الترْجمة في فكْر ابن الشّيْخ وعمله الأكاديميّ منْزلةً خاصّة، وهو الذي كان يعتبر الترْجمة عاملاً مهمّاً في الحوار بين الشّرق والغرْب، وقد ترجم في هذا الإطار خمريات أبي نواس، وأشعار المتنبي، ومقاطع مهمّة من مقدّمة ابن خلْدون، وقصّة الإسْراء والمعراج محقّقة ومُسْتقاة من عدد هامّ من المصادر تحت عنوانه الأصليّ "الحلم الوهاج والحديث الهياج بمعجزة الإسراء والمعراج"3،وفيه نجدُ عملاً متكاملاً عنْ هذه الرّحلة النّبويّة ترجمةً،وتعْليقاً،ومُقارنةً بيْن الروايات المُختلفة بخُصوصها ،مُبْرزاً قوّة السّرْد والمُتخيّل الخارق لكلّ حدّ، والرّؤية التي يعتمدها في التّعامل الخشُوع مع الإسْلام الّذي كان يُنادي بروحانيّته ضدّ نزْعة الإسْتبداد والتّسلّط.

غيْر أنّ مشروع عمره كان هو الترْجمة الكاملة لكتاب "ألف ليلة وليلة"4، التي حرص على إتمامها رفقة صديقه المستشرق أنْدري ميكيل قبل أن نفْتقده، وتمّ له ذلك فصارت،اليْوم، المرجع الحديث الأكثر اكتمالاً وصدقيّةً منذ الترْجمة الأولى التي أنجزها الفرنسي أنطوان غالان في القرن الثامن عشر للميلاد؛ ولقدْ استغرق إنجاز هذا العمل الضّخْم سنوات من الصّبْر والأناة تخلّلتْها عدة دراسات حول الحكايات نفسها مثل "ألف ليلة وليلة أو القول الأسير"، و"ألف حكاية وحكاية لليل" بالتعاون مع أندري ميكيل AndrÇ Miquel، بل إنّ ابن الشّيخ أنشأ في "كوليج دوفرانس" تجمّعاً للبحث في حكايات ألف ليلة وليلة بوصفها تضم عيون السرد العربي العجائبي، وأحد أهم وأجمل الأعمال الرئيسية التي خلّدتْها الثّقافة الإنسانية وآدابها عبر تاريخها الطويل .لهذا كان عملُهُ على الكتاب مُضاعفاً: يُترْجمُه ،ويتحرّى أكْبر درجات المصداقيّة والأمانة في نقْله إلى لُغة منْ طبيعة ثقافيّة مُغايرة،عداً أنّه ـ وهُو الأهمّ ـ يُزيح الرّؤْية الإسْتشْراقيّة بقدْرما يسْتثير السّحْر الّذي يُنْتج الليّالي منْ أجْل الوصول إلى جوْهرها.

بهذا المعْنى، يعْتبر مشروع الترْجمة لدى ابن الشّيْخ غيْر منفصل عن رُوح لافتة في الإخْلاص لعملها ،وحبّها لموضُوعها بالقدر الذي يفيد تراث الثّقافة العربية المضيء ويخلّصُ حاضرها من الرّؤْية الإسْتشْراقيّة Orientaloniaise .

هـ.

مثْلما كان يُدافع ،بدون مراء،عن الثّقافة العربيّة والتّراث الإسْلامي في الوسط الفرنسي ومنْ ثمّة الأوربي، بقدْرما كان قلْبه ووجْدانه لا يكفّان عن الخفْق بدرجة تُفْصح عن انتماء صادق وعميق لجذْوره الحضاريّة والثّقافيّة كعربيّ مسلم.فلكمْ تأثّر ابن الشّيْخ لكلّ ما كان يقعُ من حوادث ومآس ومتغيّرات تحصل في البلاد العربيّة ،وعبّر عنْه في كثير من مقالاته التي لمْ يتأخّر فيها عن إبداء آرائه بوضوح يُظْهره صاحب مواقف ومبادئ أخلاقيّة وسياسيّة حازمة منْ قضايا فلسطين ،والصراع العربيّ الإسْرائيليّ،ومُشْكلات التّحْديث والديمقراطية،والتّطرّف الدّيني، والعُنْصرية ،والتّسلّط والإسْتبداد وغيْرها ممّا شغل فكْره في هذه المقالات التي جمعها في كتاب "كتابات سياسيّة" ،الصّادر عام 2001.

و.

خلْف شخْصيّة المفكّر والنّاقد والأكاديميّ الّتي شغلتْها أسْئلة المعْرفة والمنْهج والرؤية، شقّ ابن الشّيْخ طريقاً أخْرى تضيء عبْر الكلمات العالم الموازيّ،السحريّ، الحرّ الّذي لا يزول لذات متصدّعة ،قلقة وحالمة تتكلّم عصْرُها المُضطرب بقدْرما تقْفو أثرها في الكتابة والحياة، وهيْ تتكشّف لنا منْ خلال سجلّ أسْلوبيّ وتيماتيّ مخْصوص يُفْصح عنْ "القصيدة ـ الإنسان" الّي تمزج بيْن اللّسان الفرنسيّ بتركيبه ونظامه البلاغيّ والكتابيّ ،وبيْن المُتخيّل الذي يرفد أطْيافه من مدوّنة الشعْر العربيّ القديم ،الّتي أدْمنها عبْر مقْروئيّته العميقة له، ومنْ نُصوص الشّعْر الحديث المؤسّسة، الّتي لمْ يُخلف عن الإصْغاء لقضاياها المعْرفية والجماليّة وتأمُّلها .هكذا تتصادى في شعره صور اللّيالي،وشعر الحبّ والظّرف،وسخاء الطّبيعة،وغنائيّة الإنْتشاء،والقلق والموْت والحكْمة مع روحيّة الإلْتزام ،والإصْغاء لصوْت الذّات واسْتبطان حالاتها المُتهجّجة.ولمْ يكنْ ابن الشّيْخ يُهادن أحداً منْ أجْل حريّته،وحريّة ذاته في القصيدة الّتي تحمّل منْ أجْلها الغرْبة كيْ يرْعاها في مياه خشُوعة تسْقي شاعرها المترحّل حياّة الشّعْر والبحْث في الشّعْر،منذ ديوانه الأوّل "الصّمتُ صامتاً"[1981]،ومروراً ب"الإنْسان القصيدة"[1983]،[،وحالات الفجر [1986]،و"ذاكرات الدّمّ" [1988]،و"شفافيّة في الصّميم" [1990] ،و"الخيميّاءات" '[1991]و"الصّحارى حيثُ كُنْتُ" [1994]، و "أطمار"[1995]،و"كلام صاعد"[1997]،ووصولاً إلى "نشيد لبلاد الجزر"[1999]،الّتي أصْدرتها منشورات "tarabuste"في جزئين بين عامي 2002و2003ولمْ يكن الشّعْر ،بالنّسْبة إليْه،إلاّ حركةً لمُقاومة الوجود،لا تعْليقاً على اللّحظة،ولا صدىً لما هو عُرْضةٌ للتّلف.إنّه يُنْشئ الدّيمومة الّي تتأبّى على التّجزيء ،فلا يكون ضوْضاء بالجُملة أوْ هُروباً نحْو التّجْريد.إنّه ينْخرط في الحقائق الأكْثر سرّيّة"،مثْلما يُذكّرُنا في تصْدير كتابه "الشّروخ الخصيبة للْقصيدة"5،الّذي ضمّ عُيون آرائه وتصوّراته للشّعْر وغيْر الشّعْر،في الكتابة والحياة. من الذّاكرة الجماعيّة إلى الذّاكرة الحميمة للشّعْر لمْ يتخلّ ابن الشّيْخ عن أيّ جنْس تعْبيريّ يُوصل صوْتهُ صافياً،هُنا والآن.

ومن الحريّ أنْ تلْتفت الثّقافة العربيّة المُعاصرة إليْه كواحد منْ أهمّ سُفرائها ،الّذي ظلّ يمثّل،حتّى رمقه الأخير،وجْهها المُشْرق والمخْتلف ،ويدافع عنْ وجودها داخل أوْساط فرنْسا الثّقافيّة ،زمن الهيْمنة. ولكمْ كان مُحبّاً للّغة العربيّة وفكرها وآدابها،وخشُوعاً في تعامله مع الإسْلام،ومُخْلصاً لمواقفه ومبادئه الّتي وقفتْ إلى جانب الحقُوق العربيّة وسط ضجيج الكُورال.ومن الحريّ،أيْضاً،أنْ يأْخذ المنْزلة الّتي يسْتحقّها بيْن أدبائها،وأنْ يُعرّف بفكْره النّقْديّ ومجْهوده التّنْويريّ،حتّى تُعاد إليْه حريّته وهُو يرْقدُ،الآنَ، في حساب الأبديّة.

جمال الدّين بن الشيخ

* شاعر وناقد من المغرب

هوامش:

1.أنظر ترجمتنا لها المنشورةب"القدس العربي"،أدب وفن،ع5052،23أب]أغسطس2005

2.poetique arabe,Ed.Anthropos,1975\Ed. gallimard,1989

الشّعرية العربيّة،ت.محمد الولي،مبارك حنون،محمد أوراغ،دار توبقال للنشر،1996.

3 Le Voyage nocturne de Mahomet (suivi de) L'Aventure de la parole (Essai) - Imprimerie nationa Paris, 1988

4 Mille et nuits,Ed.Gallimard,2005

5 Failles fertiles du poeme(Essais),Ed.tarabuste,2000.

انتصار المقاومة في لبنان لم يغب عن افتتاحيتها:

العدد (28-29) من فصلية «الشعراء» يحتفي بمحمد بنيس وخالد أبو خالد في كتاب العدد

رام الله ـ «القدس العربي»:

بعد انقطاع وإرباك حاله حال المشهد الفلسطيني تعود مجلة (الشعراء) بعدديها ربيع وصيف (28–29) للاحتفاء بالشاعر المغربي محمد بنيس. ظلّ هذا العدد لما يزيد على سنة حبيس الأدراج حتى ظهر مؤخراً في (510) صفحات .. وقد حلّ الشاعر زهير أبو شايب زائراً مقيماً في هذا العدد ليكون المشرف العام للمجلة..

افتتاحية العدد والتي كتبها الشاعر مراد السوداني، رئيس التحرير جاء فيها:

"منذ ما يزيد على العام انقطعت مجلة (الشعراء) عن قرائها.. هذا الإرباك جزء من الإرباك العام الذي يجتاح بلادنا الجريحة.. وها هي (الشعراء) تجدّد عهدها بالتواصل على الرغم من ظلموت اللحظة وفجائعيتها.. فعذراً لقراء (الشعراء) مرّة أخرى على التأخر".. وعذراً لمحمد بنيس الذي احتمل بقاء كلماته لما يزيد على العام حبيسة الأدراج .. ولكننا اليوم يا سيدي يا محمد نجدد معاً الوفاء لقوة الحرف والإصرار على تقديم الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض .

تخرج (الشعراء) من شقوق المكان الفلسطيني محمولة على الجراح الخضراء السيالة التي تفهق في الأزقة والحواري والمخيمات والمدن التي تنازل النقيض يومياً وتمضي بكامل الوثوق نحو فلسطين كاملة غير منقوصة .. بالحارق والخارق والرصاص الأسود الغليظ وقذائف الموت وألسنة اللهب الحمراء يُعْصف ببلادنا .. وينخلّ الصغار وتهدم البيوت على رؤوس أصحابها .. ولا مجيب .. صمت .. صمت .. صمت ..

تواجه غزة الباسلة الجراد الاحتلالي بما تبقى من الصدور العارية .. حتى الأموات استدركهم فائض التدمير والنسف .. فتكون نابلس بشبلها وثبات العشرين ساعة على الزناد مواجهة وبطولة وفداء ..

اغتيالات .. اعتقالات للوزراء والنواب ولكافة الأحرار على ترابنا الحرّ ولا يرمش جفن لعين العدالة المفقودة .. والنظام الدولي المخاتل والمنافق .. فتنحاز الشعوب العربية لصوت الحقيقة وتدق جدران الصمت العربي وتنعف الصراخ على أشدّه ، فيعلن الجنوب .. الجنوب النصرة لفلسطين بفعله الفذّ وإصراره الشهم.

تعبّر المقاومة الحقّة في لبنان وفلسطين والعراق عن نسغ النار في جسد الأمة الحيّ والمعافى .. ومن هنا فإن الانحياز للمقاومة واجب الوجود .. وحقّ مقدّس لا فكاك منه لمواجهة الكولونيالية الأمريكية الراعية للاحتلال الإسرائيلي واستطالاته السوداء .. وما تجديد المجزرة في قانا سوى دليل أكيد على إرهاب الاحتلال وداعميه والمتواطئين معه .. فطوبى للمقاومة حارسة حلمنا ودرعنا الباقي في مواصلة الدفاع عن قيم الحياة وأسبابها، وفضح قبح الغزاة ولا إنسانيتهم وإجرامهم ..".

وقد افتتح العدد ببطاقة تعريف شخصية عن الشاعر محمد بنيس اشتملت على سيرته وإبداعاته وما كتب عنه في سياق التعريف به في المشهد الفلسطيني.

كما تناول العدد شهادات وكلمات حول تجربة بنيس الشعرية قدمها : قاسم حداد، شوقي بزيع، برنار نويل، دومنيك دوفلبان، عبده وازن، المهدي أخريف، ماري بانكار، الحسين الشعبي، سعيد الكفراوي، فوزي الديلمي، سلمى الخضراء الجيوسي، كلود اسطيبان، محمد الشركي ونور الدين بوجلبان.

أما باب الحوارات فاشتمل حوارين مع بنيس أجراهما حسن الوزاني وإميليو أراوكسو.

كما جاءت المختارات الشعرية تحت عنوان (وردة من غبار على جزأين) الأول وتضمن :

– من ديوان(ما قبل الكلام)
– من ديوان (شيء عن الاضطهاد والفرح)
– من ديوان (وجه متوهج عبر امتداد الزمن).
– من ديوان (في اتجاه صوتك العمودي)
– من ديوان(مواسم الشرق)

والجزء الثاني تضمن :

– من ديوان (ورقة البهاء).
– من ديوان(هبة الفراغ).
– من ديوان(كتاب الحب).
– من ديوان(المكان الوثني).
– من ديوان(نهر بين جنازتين).
– من ديوان(نبيذ).

بالإضافة لقصائد غير منشورة بعنوان : شعرية وهايكو.

في حين أشتمل باب الدراسات على مشاركات لكل من :

سعدي يوسف، محمد لطفي اليوسفي، صبحي حديدي، بنعيسى بوحمالة، محمد مفتاح، عبد العزيز المقالح، عبد الواحد لؤلؤة، سعيد الغانمي، خالد بالقاسم، طراد الكبيسي، نبيل منصر، يوسف ناوري، فرنشيسكا كوراو، صالح دياب، محمد أمنصور وسعيد بوكرامي.

كما تضمن العدد بيان الثقافة الفلسطينية ، دفاعاً عن الحق في الحياة والمقاومة من أجلها في لبنان وفلسطين والعراق بالإضافة لبيان بيت الشعر ولجنة الطوارئ الثقافية في التضامن على المفكر معن بشور ..

كما صدر مع العدد مجموعة شعرية للشاعر خالد أبو خالد، معلقة مع جدار مخيم جنين، والذي جاء في (90) صفحة من القطع الكبير .

يذكر أن المجلة والعدد بدعم من مجموعة الاتصالات الفلسطينية .

الجرّافة

فريد أبو سعدة*

ها هي تمضي
بحركتها البطيئة
تكنس ما تبقى من البيوت:
الأحجار والشبابيك
مواسير المياه وقاعدة التواليت
أسلاك الهاتف والكهرباء
بينما الذكريات تحلق فوق الفوضى
كسحب زرقاء صغيرة.
ها هي تمضي ببطء
وخلفها
يمضي المشاة المدرعون
أيديهم على الزناد
ورؤوسهم في كل الاتجاهات
تظهر في الركام ساعة حائط
تظهر بندقية أطفال
تتطاير الصور العائلية
وكراريس المدارس
تظهر فيروز
من أين يأتي الصوت؟!
يكتشف الجندي الراديو الصغير
فيسدد إليه دفعة من الرصاص.
تمضي الجرافة ببطء
صانعة طريقا وسط الخراب
يتوقف جندي
ويشعل سيجارة
ثم يمد يده بالعلبة لجندي آخر
لكن الرصاصة تعاجله
فيسقط قبل أن يأخذها
يطلق الجنود الرصاص في كل الاتجاهات
لكن أحدا لا يعرف من أين جاءت
تمضي الجرافة
ويمضون خلفها مذعورين
فلا أحد يعرف
متى ستأتي الرصاصة التالية
ولا أحد يعرف..
من أين.

* شاعر من مصر

قص

وهي حرب أخرى...

مبارك حسني*

■ جلس البغدادي منعم في الشرفة ذاك المساء كالعادة في الطابق الحادي عشر من عمارة تطل على شارع الرشيد الوسطي. وكالعادة التي ألف منذ سنين كان يقرأ رواية. كالعادة ـ دائما ـ كان عادي الملامح أي هادئا مسالما في توافق كامل مع العالم المحيط وليس في هيئته ما ينبئ عن توتر النهار الذي خلفه وراءه. لا تتحرك منه سوى العينين القارئتين الغارقتين في صفحات الرواية المجلدة بلون قان.

يمر وقت طويل قبل أن يضطر لرفع بصره ليلاحق استضاءة السماء الفجائية بالقرب منه بآلاف الشعلات الملتهبة ويرهف السمع لصدى الارتطام المتفجر، دائما بالقرب منه ـ مرة أخرى ـ.

حالما هدأت الأمور كر قافلا، بهدوء وتؤدة، نحو كتابه وهو يسوي النظارات على سطح أرنبة أنفه. بحث عن السطر الذي توقف عنده من قبل وواصل القراءة : «لما ملأ قرف الغدر نفس السيد سين قرر، أن يكتري شقة أعلى في أعلى عمارة بالمدينة ليحظى بالاختلاء التام بعيدا. منها وفيها، لما ينحني، تسبح في زرقة النهر العظيم. ولما يرفع هامته نحو الأعلى يحوطه ملكوت الله. فيها في تلك اللحظة التي يكون رفقة نفسه وحدها في الزمن الذي بين الأوقات والنهار لم ينسحب بعد والليل يهفو للحلول...».

تبسم البغدادي بعمق وحول بصره جهة دجلة القريب وراح يتنسم باشتياق ممتع رائحة العتاقة المائية الزرقاء التي يحلو له أن يتصورها مضمخة بالحبر القديم الذي ما يزال..كانت بسمته اللحظة تلك غير معهودة، ربما بسبب ما قرأ أو بعلة ما يتفرقع قريبا منه أو بالسبب والعلة معا. بسمة فريدة وغريبة كتلك التي يحدثها شخص انكشفت له في القلب حقيقة الدمار الأزلي الذي لا يريد أن يمل..

وكان يواصل ابتسامته بانتشاء وتأمل عميقين لما دوت شعلة مضيئة أخرى ألهبت السماء حوله فتتبعها، كما ديدنه، حتى سقطت هناك في الماء النهري الذي استحال لونه شيئا فشيئا بلون الحمرة القانية.

استغرب ودام استغرابه برهة لكن حالما عاد إلى الكتاب زال واندثر تماما.

فقد خلا الكتاب فجأة من حبره وصار مجرد صفحات بيضاء. «هاهم قد عادوا مرة أخرى...» قال.

* كاتب من المغرب

■ يكفي استبدال اسم النسب المديني للشخصية واستبدال اسم النهر فتكون القصة قصة كل مدائن الشرق...حيث الأنهار وحيث الحواضر العامرة..